الأسرة وتدبير الحياة اليومية:
دراسة سوسيولوجية لإشكالية العنف الأسري ضد الأبناء، مدينة أزمور نموذجا

شعيب باجي
طالب باحث في سلك الدكتوراه . تخصص السوسيولوجيا
جامعة محمد الخامس، الرباط
المغرب

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى فهم طبيعة العلاقة بين الأسرة من خلال تدبير الحياة اليومية للأبناء وإشكالية العنف الأسري الموجه ضد الأبناء من طرف الوالدين، باعتبار أن الأسرة اليوم كمؤسسة اجتماعية تهتم بتنشئة وتربية الأبناء، فإنها سيرورة تساهم في نمو الأبناء واندماجهم في المحيط الأسري والمجتمع. وعرفت هذه الأسرة تحولات وتغيرات عديدة في العقود الأخيرة، حيث تعرضت لتناقض عنيف في ظل العولمة والحداثة المتقدمة والغزو الثقافي، والتحولات الاقتصادية العالمية التي لم تسلم منها المجتمعات الجديدة.

وانبنت هذه الدراسة على بحث ميداني اعتمدنا فيه على المقاربة الكيفية، بإجراء مقابلات مع عينة تمثيلية تنتمي إلى مدينة أزمور، واقتربنا من الحياة اليومية لبعض الأسر وأبنائها وكيفية تدبيرها للحياة اليومية لهم (الأبناء)، والوقوف على تأثيرات سلوك العنف الموجه ضدهم.

كلمات المفاتيح: الأسرة . الحياة اليومية . العنف . العنف الأسري

Abstract:

This study aims to understand the nature of relationships within families through the lens of daily life management for children and the issue of domestic violence against them by parents. Given that the family today is a social institution concerned with the upbringing and education of children, it is a process that contributes to the growth and integration of children into the family and society. In recent decades, the family structure has experienced significant shifts, grappling with the contradictions arising from globalization, rapid modernization, cultural imperialism, and the sweeping impacts of global economic changes.

This research was grounded in a qualitative field study that aimed to understand the daily lives of families in Azemmour. By conducting interviews with a representative sample, we explored how families manage their children's daily lives and examined the effects of domestic violence on children.

Keywords: Family, daily life, violence, domestic violence, society.

مقدمة:

تعتبر ظاهرة العنف الأسري والعنف الموجه ضد الأبناء تحديدا مشكلة من المشكلات الحضرية، وهي ظاهرة ذات أبعاد تاريخية، وهذا العنف فهو يطال كل الشرائح المجتمع، فالعنف الأسري أصبح منتشرا، ويشكل خطورة كبيرة على الفرد والمجتمع، فهو يصيب الخلية الأولى في المجتمع (الأسرة). إن العنف وإن كان ظاهرة كونية تعرفها مختلف المجتمعات عبر كل العصور، حيث يعرف على أنه الاستعمال المتعدد أو التهديد باستعمال القوة أو السلطة ضد الذات أو ضد الغير أو ضد مجموعة أو جماعة مما يؤدي إلى الضرر المعنوي أو إعاقة النمو أو إلى الحرمان بكل أنواعه[1]، فقد تكون ممارسته بين أحضان الأسرة، ومن الأقرباء حيث أصبح من المفارقات التي تسم مجتمعاتنا...[2]، إن من إحدى مميزات مجتمعاتنا العربية، وبالخصوص المجتمع المغربي الذي هو موضوع دراستنا من خلال مدينة أزمور، هي هذه التركيبة المرضية، وهذا التجانس المتنافر بين الحب والأمان، بين الوحشية والحيوانية، حيث أصبحت الأسرة المغربية عشا لهذه التناقضات، وهذه البنيات المنحرفة، وهو ما جعلها أرضية ومجالا لهذه الدراسة بغية الوصول إلى عوامل الخطر المؤدية إلى العنف الأسري من خلال أشكال العنف الممارس على الأبناء كسلوك منتشر بقوة كبيرة، وموجه لمختلف العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع المغربي.

ويشهد المجتمع المغربي منذ مدة تنامي مجموعة من الظواهر الخطيرة التي تهدد الروابط الاجتماعية داخل العديد من البنيات المجتمعية من بينيها العنف والتفكك الأسري، الجنوح، العنف المدرسي... وهو ما يساءل هذه البنيات ويساءل الدولة في سياستها وقصور مجهوداتها، والباحث بدوره يطرح أسئلة قصد فهم وتفسير عبر ربط النتائج بأسبابها الحقيقية، وتفيد العديد من الدراسات لمختلف هذه الظواهر أن البيئة الأسرية تتحمل مسؤولية كبرى في اختلال التوازن وشيوع المظاهر السلبية، باعتبار أن الأسرة بنية اجتماعية مؤثرة على مسار الفرد ووضعيته داخل المجتمع، كما تشير هذه الأوضاع في توافق متزن مع بيئته الأسرية وباقي بنيات المجتمع[3].

فالأسرة اليوم وجدت نفسها أمام تغيرات سريعة عالمية ومحلية تغيرت معها الأدوار والمعايير وتلاشت القيم وتذبذبت السلوكيات بالنسبة للصغار والكبار، فإن مستوى التغيرات الاجتماعية وتعقدها، بحكم تنامي تقسيم العمل يطرح إشكالية كبرى على مجالات مختلفة ومتداخلة كما هو شأن عملية التربية، وهذه التغيرات والتحولات كان لها انعكاسات على الأسرة في المجتمع المغربي، مما أنتج أشكالا جديدة من سلوك العنف داخل الأسر المغربية، انطلاقا من العلاقة بين الزوجين والأبناء وبين أفرد الأسرة.

عموما؛ فهذه الورقة البحثية تهدف إلى توضيح وجهة نظر سوسيولوجية لإشكالية الأسرة وتدبير الحياة اليومية، من خلال البحث في العوامل المساهمة في سلوك العنف الموجه ضد الأبناء من طرف الوالدين، بالوسط الحضري لمدينة أزمور، اخترنا أن تكون هذه الأخيرة نموذجا ميدانيا للدراسة، نظرا لما أصبحت تعيشيه المدينة من ارتفاع للأرقام المنذرة بالخطر حول استعمال سلوك العنف داخل الأسرة اتجاه الأبناء والتخلي عنهم، وأيضا ظاهرة تسول الأطفال الصغار بالشارع والمقاهي... فهذه الورقة تتمحور حول العديد من الأسئلة والإشكالات التي يمكن نجملها فيما يلي:

كيف لنا اليوم أن نفهم تعنيف الوالدين لأبنائهم؟ وكيف يمكننا أن نفهم أن الوالدين يهملون ويتخلون عن أبنائهم؟ وكيف يمكن أن نفهم أن الأسرة أصبحت تساهم في انتاج سلوك العنف اتجاه الأبناء وهي التي ينتظر منها أن تكون المسؤولة عن تربيتهم وتنشئتهم؟ وكيف نتصور

---

[1]– العنف والصحة، تقرير المنظمة العالمية للصحة، 2002.

[2]– إبراهيم حمداوي، "الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟"، في. حسن قرنفل وزينب نجاري ومحمد سربوتي، المشكلات الحضرية الجديدة مقاربات، وضعيات وتقاطعات، أعمال الندوة الدولية المنظمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة 27 و28 نونبر 2019، الطبعة الأولى، الرباط، منشورات، مختبر المجتمع المغربي: الديناميات والقيم، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة ـ المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2021، ص، 427.

[3]– رشيد بوعبيد، "دور الأساليب الوالدية في تنمية المهارات الاجتماعية لدرى الفرد"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى، الرباط، مطابع نت، 2019، ص، 53.

أطفالا نعتقد أنهم أبرياء تحولوا فيما بعد إلى منحرفين ومجرمين محترفين؟ وإي دور للوالدية وللوسط الأسري في تشكيل وبناء شخصية الأبناء/الأطفال؟

أولا: منهجية البحث، تجربة الميدان

1. المقاربة المنهجية:

مجتمع البحث

ارتباطا بإشكالية البحث اخترنا أن تكون مدينة ازمور نموذجا ميدانيا للدراسة، من أجل الوقوف على العوامل المرتبطة بالعنف الأسري الممارس على الأبناء من طرف الوالدين بالوسط الحضري لمدينة أزمور، والتي من المفترض أن تكون هذه الأسرة أكثر آمانا وحماية لأبنائها.

لتناول هذه الفرضيات بالدراسة والتحليل تم إجراء دراسة ميدانية شملت عينة عشوائية من ساكنة مدينة أزمور، مع أسر ينحدرون من أحياء مختلفة من مدينة أزمور، رغبة منا في فهم أكثر العوامل المرتبطة بالعنف الأسري ممارس على الأبناء في المجتمع الزموري.

العدة المنهجية:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الكيفي، واعتمدنا على شبكة الملاحظة وتقنية المقابلة، مادامت غياتنا تهدف إلى الفهم والتأويل، وهذه الغاية تحتم علينا اختراق تصورات تمثلات الساكنة المحلية لمدينة أزمور من خلال الحياة اليومية للأسرة، ومشكلة العنف الأسري ضد الأبناء، هذا ما دفعنا إلى اجراء مقابلات بحثية مع بعض الأسر.

وواجهنا بعض الصعوبات المنهجية والأخلاقية في إنجاز هذه الدراسة على المستوى الميداني، من خلال تخوف بعض المشاركين من اجراء المقابلات معنا نظرا لحساسية وخصوصية الموضوع، الشيء الذي يمكن اعتباره عائقا أمام هذه الدراسة.

2. وصف المجال المدروس:

تعتبر مدينة أزمور مجالا حضريا يدفعنا لمسائلته، مما جعلها أن تكون محطة اهتمامنا ومجالا للدراسة نظرا لما تعرفه المدينة من مشاكل حضرية، بينها العنف الأسري الموجه ضد الأبناء، وخروج الأطفال للشارع للقيام بسلوكات عنيفة والتسول... ولكون المدينة عرفت سيرورات التمدين وتضم ساكنة مختلفة بين السكان الأصلين والوافدين، وتعتبر مدينة أزمور من المدن العريقة في تاريخ الحواضر المغربية، حيث تتواجد حضارات مهمة في حقب زمنية مختلفة داخل حيزها الجغرافي من قبيل الرومان، الفينيقيين، الأمازيغ... هذا بفضل وجود واد أم الربيع الذي يتقاطع مع المحيط الأطلسي الذي كان بوابة للعديد من التجار[4]. تقدم هذه النبذة فكرة جوهرية تتجلى في أن مدينة أزمور كانت متواجدة عبر التاريخ، إلا أنها لم تتأثر بسيرورة التمدين إلا مع دخول الحماية الفرنسية سنة 1912، على سبيل المثال مدينة أزمور التي ستعرف في مراحل ما بعد الاستعمار ظهور مجالات جديدة يمكن اعتبارها أنها تستجيب لحاجيات الإنسان المديني، وستتشكل أحياء وتتطور كنتيجة لتطور عدد الساكنة، الذي انعكس على المدينة ودفعها لاستقطاب مقومات المدينة الحضرية.

[4]- Azemmour et sa banlieue, *Direction des affaires indignées*, section sociologique, Honoré Champion éditeur, 1932, p. 44 - 62.

وعليه؛ فإن الأسرة هي جزء من المدينة، وتلعب دورا في تنشئة الأبناء والأفراد داخل المجتمع، فإذا كانت الأسرة فاسدة فالأبناء سيكونون فاسدين لا محال، فإن الأسرة ضرورة حتمية للحفاظ على بقاء الجنس البشري، ودوام الوجود الاجتماعي وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشارا وهي أساس استقرار الحياة الاجتماعية[5].

ثانيا: في تحديد مفهوم الأسرة

لقد تمت معالجة الأسرة من مداخل متعددة سوسيولوجية، أنثروبولوجية، نفسية، اقتصادية، ديموغرافية، قانونية... ويحمل مفهوم الأسرة في طياته عدة مفاهيم، كالعائلة، والقرابة، والزوج Couple... وهي نظام اجتماعي أساسي مهم لبقاء المجتمع، يشكل نسقا من الأدوار الاجتماعية المتصلة، والمعايير المنظمة للعلاقات بين الأزواج مع تنشئة الأطفال، وبناء العلاقات القرابية، وهي بمثابة مجتمع مصغر لكونها تستدمج عناصر ثقافة المجتمع في شخصية أبنائها لتنظيم سلوك الأفراد فيما يوافق معايير، وقيم المجتمع للإبقاء على النظام ذاته[6].

إن الأسرة باعتبارها مؤسسة اجتماعية هي كذلك مؤسسة روحية حية متفاعلة مع الداخل، والخارج تستمد فاعليتها من العلاقات، والتبادلات الرمزية، والمادية، والعاطفية، وتنظم وفق قوانين، وأعراف وعادات وفق مفهومي القرابة، والرابطة الدموية. حيث أن القرابة تعد نسقا من الحقوق والواجبات المستمدة من القواعد الأخلاقية والروحية والدينية، وهو ما يعطيها قدسيتها، ويفرض الالتزام الذاتي والتلقائي النابع من المشاعر، والعاطفة خصوصا بين الآباء والأبناء، ولا يحتاج في كثير من الأحيان إلى رقابة قانونية خارجية إلا في حالات الاضطرابات، لذلك سيكولوجيا يمكن اعتماد رأي السيكولوجي عباس محمد مكي في مفهوم الأسرة بكونيها "الخلية الأولى" التي تضبط حركة الحلال، والحرام، وفيما يتصالح مبدأ اللذة مع مبدأ الواقع، فعطف الأم، ورعاية الأب يشكلان النموذج الأولي الذي يبني على أساسه حنان الزوجة، وهيبة الزوج، والخيط الرفيع الذي يفعل بين العلاقتين الأبوية، والزوجية وهو قانون الحلال، والحرام، وكل انزلاق خارج هذا الإطار هو مؤشر على السقوط في الإثم مما يعني عدم نجاح الدور العلائقي للأسرة، ودخول العلاقات الأسرية في متاهات الفوضى، والتقاتل، والتفكك[7].

ومن المنظور السوسيولوجي للأسرة تشير كلمة "أسرة" إلى معيشة الرجل والمرأة معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم[8]، فأساس قيم الأسرة هو الزواج، فيشكل بذلك الرجل والمرأة جزئيين متكاملين أساس العلاقة بينهما المودة والرحمة والسكينة، كما يعرفها القاموس الاجتماعي على أنها تلك العلاقة التي تربط بين رجل وامرأة أو أكثر معا بروابط القرابة أو علاقات وثيقة أخرى، بحيث يشعر الأفراد البالغين فيها بمسؤوليتهم...[9]، فالأسرة هي مؤسسة تقوم أيضا بوظيفها من خلال نقل ثقافة المجتمع من عادات وتقاليد وقيم ومهارات إلى الجيل الجديد، وبالتالي فالأسرة هي عبارة عن بنيان ورابط اجتماعي يقوم على علاقات القرابة النسب والزواج، وتتمثل في مجموعة من العلاقات الاجتماعية التي تحدد الثقافة.

ويعرف إميل دوركايم Emile Durkheim الأسرة على أنها ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينجبانه من أولاد. على ما يسود الاعتقاد. بل إنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية، وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم، والمصاهرة، والتبني، والمصير المشترك. هنا دوركايم يؤكد أن الأسرة ليست فقط تجمع لأفراد بل هي مؤسسة اجتماعية أوجدها المجتمع لهدف معين، تربط أفرادها علاقات متينة[10]. إن تطور البينات الاجتماعية في مختلف أنحاء العالم قلص بشكل كبير بل أدى إلى تراجع العائلة والأسرة الممتدة،

---

[5]– إبراهيم حمداوي، تقديم د. سعيد برغل، مدخل إلى سوسيولوجيا الجريمة مفاهيم ونظريات، الرباط، مطابع نت، 2017، ص، 61.

[6]– عبد المعطي، حسن مصطفى، الأسرة ومشكلة الانتماء، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع، 2008، ص، 9. 10.

[7]– إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 429.

[8]– رمضان سيد، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، الإسكندرية. مصر، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص، 2.

[9]– إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 430.

[10]– إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 431.

وانحصرت الأسرة في مجموعة أفراد تربطهم روابط دموية أو غيرها، ويتفاعلون في إطار علاقات زوجية، ووالدية ليكونوا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة. وهذا التغير غير معه الأدوار، والبنيات التي تتجه قطبيا نحو الفردانية بفعل العولمة، والتحول من البداوة إلى الاستقرار، وتغير مكانة المرأة، هو ما حول العلاقات داخل المجتمع، وأفقدها تماسكا، وترابطا (هشاشة الروابط، وتسليم القيم) فأصبح إدراك أعضاء الأسرة لبعضهم يتوقف على طريقة التواصل، ونوعية التفاعل بينهم، وهو ما عقد وصعب تبادل المعلومات، والتواصل داخل الجماعة (تعقد شبكة التخاطب، والاتصال، وجعله إما اتجاه واحد، وجعل قيودا تجعل هذا التواصل مصدر تهديد. مما يشوه المعلومات، وسوء الفهم، والعداء المتبادل بين الأعضاء).[11]

وعليه؛ يمكن القول إن بنية الأسرة تغيرت وأصبحت دو طابع كوني وعالمي وليس فقط محلي، في ظل العولمة وقيم الحداثة الجديدة في القرن 21، اتجه الغالبية نحو فردانية العلاقات مما غير من اتجاه الأفراد نحو بعضهم البعض من خلال التنافس، وخلق اتجاهات عدائية نحو الذات ونحو الآخر، وهو ما انعكس على الأسرة وولد صراعات بين الأزواج نظرا لعدم مسايرة الحياة اليومية، هذا ما أنتج في العديد من الحالات تعنيف الأبناء.

ثالثا: في مقاربة مفهوم العنف الأسري

فإن قضية العنف قد وظفت لها المجتمعات وسائل مختلفة من برامج ودراسات وتدخلات وقوانين ومؤسسات إصلاحية وتهذيبية لمجابهتها والحد منها، إلا أنها استمرت وتطورت في حجمها وأساليبها، حيث أخذت أشكال متطورة ومستحدثة ومعقدة تلازمت مع تطور النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهي ظاهرة بمختلف صورها لازالت تشكل خطرا كبيرا على المجتمعات، وهذا أصبح راجعا بالأساس إلى ديناميات الأسرة وبنيتها في العصر الراهن وتعقيداته. هناك إذن أسباب موضوعية من وراء بعض مظاهر العنف التي نراها في كل يوم، تتكرر في المجال الحضري على وجه الخصوص بسبب مجموعة من العوامل؛ من بينها الفقر والبطالة والاقصاء الاجتماعي والفوارق الاجتماعية والمجالية... للعنف أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، فإذا كانت الأولى مرتبطة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية الخاصة للأفراد الذين تصدر عنهم مختلف أشكال العنف، فإن الثانية خارجة عن إرادة الأفراد وترتبط كما حددها علماء الاجتماع الأوائل بالشكل الجديد للحياة الحضرية[12].

العنف هو السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن، وتستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضرب والتقتيل للأفراد، والتكسير والتدمير للممتلكات، واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره[13]. ويقول مصطفى حجازي، فالعنف يبقى الوسيلة الأخيرة في يد الإنسان للإفلات من مأزقه ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمنه هذا المأزق. والعنف هو السلاح الأخير لإعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات من خلال التصدي مباشرة، أو مداورة للعوامل التي يعتبرها مسؤولة عن ذلك التبخيس الوجودي الذي حل به. فالعنف هو لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين، حين يحس المرء بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمه[14]. ويطرح هذا التعريف مسألة جديدة مفادها أن العنف هو شكل من أشكال الحوار مع الآخر لكن بطريقة مختلفة تماما.[15]

---

[11]– عبد المنعم شحاتة، أنا والأم، سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ط 2، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، 2002، ص، 100.

[12]– "نحو فهم محددات العنف بالمدن"، مجلة رهانات، ملف العدد المدينة والعنف، العدد 42، 2017، ص. 47.

[13]– فرج عبد القادر طه، وشاكر عطية قنديل، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط 2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، ص، 589.

[14]– مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور، الطبعة التاسعة، الدار البيضاء ـ المغرب، المركز الثقافي والعربي، 2005، ص، 165.

[15]– عبد اللطيف كداي، "التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي: محاولة للرصد والفهم"، التدريس مجلة علوم التربية، السلسلة الجديدة، العدد 7 يونيو 2015، ص. 83.

إلى جانب هذا نتحدث عن العنف الذي يأخذ صفة العنف الرمزي، حيث يعتبره بيير بورديو على أنه؛ كل نفوذ أو سلطة تأتي من خلال طرح جملة من الدلالات، والتي تفرض وتحمل في معانيها الشرعية لكتم ومحو تقارير القوة، والتي هي في حد ذاتها أساس ومنبع لهذه القوة. وعرفه كذلك على أنه عنف تعسفي واستبدادي يترجم بفرض القوة والسلطة على أشخاص آخرين[16]. والعنف الرمزي ينشأ انطلاقا من فكرة الإنسان المقهور، والذي يقصد به المواطن المهمش والمتروك بدون رعاية في ميدان معين أو على مستوى كل الميادين، حيث أن العنف الرمزي ينتشر وبشكل مثير عند زيادة القمع المفروض، وبالتالي عند زيادة إحساس الإنسان بالعجز عن مواجهة الواقع[17].

ويعرف العنف القائم على النوع الاجتماعي بأنه ضرر يرتكب رغم إرادة الشخص ويكون ناتجا عن عدم المساواة في علاقات القوة بسبب اختلاف الأدوار بحسب النوع الاجتماعي، على الصعيد العالمي دائما ما يكون للعنف القائم على النوع الاجتماعي أثر سلبي أكبر على النساء والفتيات[18]. ويكون العنف الأسري غالبا من الأزواج ضد زوجاتهم، وفي حالات أخرى تمارس بعض الزوجات أعمال العنف ضد أزواجهن، ولكن أيضا يظهر أن هناك عنف موجه ضد الأبناء من طرف الوالدين، وبالتالي فالعنف الأسري ضد الأبناء تحديدا؛ هو كل فعل عنيف يقع في إطار الأسرة قائم على أساس النوع يقوم به الوالدين بما لهم من سلطة على الأبناء والأطفال من خلال الضرب بكل أنواعه وحبس الحرية، والحرمان من الحاجيات الأساسية، والطرد من المنزل، والسب والشتم والاعتداءات، والتسبب في كسور نفسية وسوء المعاملة الاجتماعية الاقتصادية والاجتماعية... هذا ما يعكس تأثيرات نفسية تبقا عالقة في أدهان الأبناء.

رابعا: الأسرة والعنف وتدبير الحياة اليومية

عرفت الأسرة المغربية تحولات، وتغيرات كبيرة في العقود القليلة الأخيرة حيث تعرضت لتناقض عنيف إثر الغزو الثقافي والعولمة، والتحولات الاقتصادية العالمية التي لم تسلم منها أسس المجتمعات في كل أنحاء العالم بل كانت مسرحا لمجريات العالم، والعصر حيث وجدت بنفسها في وقت وجيز أمام التغيرات السريعة العالمية، والمحلية حيث تفتقد لمنظومة أخلاقية واضحة المعالم. هذه التحولات هوت مرجعيتها القيمية بفعل عوامل ثقافية، وفكرية دخيلة على المجتمع المغربي، تخلخلت معها الأدوار، والمعايير، وتلاشت القيم وتذبذبت السلوكيات بالنسبة للصغار والكبار، وهو ما أشار إليه باحثون مثل عبد السلام الهراس، ومحمد دحمان، وإبراهيم حمداوي[19]، وعبر عنه عدي الهواري بقوله؛ التغيرات المورفولوجية التي أصابتها لم يكن من الممكن ألا تؤثر على هياكل، وأدوار أعضائها، والتي لم تعد مصالحهم مشتركة دوما... مما أدى إلى إحداث دينامية جديدة، بحيث أن العلاقات في داخل، وخارج الأسرة عرفت تعديلات كثيرة[20]. إن فهم وتفسير العنف داخل الأسرة، وتطبيعه في سلوك الأبناء يمكن فهمه من خلال التغيرات التي حصلت في المجتمع، كان في الماضي هو رمز الاستقرار والتلاحم والتضامن والترابط، والتحلي بالقيم الإنسانية تدخل فيها الحشمة والحياء والوقار، ويمكن ارجاع سلوك العنف الذي لا تخلو منه المجتمعات اليوم، والذي لا تكاد أن تخلو منه وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية، والمسموعة والمنابر الإعلامية؛ التي أصبحت هي الأخرى مساهمة بشكل كبير في انتشار العنف داخل الأسرة وتفكك الرابط الاجتماعي ودور الأسرة، والعلاقات التي أصبحت سلعية/ربحية ومصلحية وفقدان روح التعاون والتضامن.

فكل هذه العوامل فهي تساهم أيضا تفكك الأسرة والأدوار التي كانت ولا تزال تقوم بها في القيام بعمليات تنشئة الأبناء. وتعد الطفولة المتأخرة أي مرحلة البلوغ، وبداية انسلاخ الطفل عن الطفولة مرحلة الوعي بالعلاقات الأسرية، وتحديد الاتجاهات، والحاجات فيها لدى

---

[16]- أحمد الراجي، "دينامية المجالات الحضرية وإشكالية العنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية: دراسة حالة مدينة الدار البيضاء"، مجلة رهانات، ملف العدد المدينة والعنف، العدد 42، 2017، ص. 35.

[17]- مصطفى حجازي، ص، 176.

[18]- محددات العنف الزوجي ضد المرأة في مصر، ص 2.

[19]- إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 433.

[20]- Addi Lahraoui, *Les mutations de la société allégorisme famille et lieu social dans l'algérie contenu porine*, paris, la découverte, 1999, p. 56.

الأطفال كما أنها مرحلة يتميز فيها الطفل بقدرته على التعبير عن عدوانيته إما بمواقف أو سلوكات قريبة من سلوكات الراشدين. إن موضوعية هذا الطرح تكمن في ربطه بالعوامل الأسرية، وتأثيراتها في إعداد الطفل، ومده بمراجع Référence أو بنماذج تربوية، وتقمصات غير سوية تساهم بصورة أو بأخرى في خلق أفراد يتميزون منذ طفولتهم باضطرابات انفعالية، وسوء التكيف الاجتماعي، وبالتالي في اختلال في التوافق النفسي الاجتماعي لديهم[21]. يمكن القول بأن بنية تغير الأسرة عالمي، وليس فقط محلي تم من خلاله تسليع القيم، واتجاه قطبي نحو فردانية العلاقات مما غير من اتجاه الأفراد نحو بعضهم البعض موسومة بالتنافس، وخلق اتجاهات عدائية نحو الذات، ونحو الآخر، ومن الأمور التي زادت تعقيدا هم المحيط الإيديولوجي، والإعلامي للأسرة القرن 21[22]. وعليه فإن تدبير الحياة اليومية داخل الأسرة أصبحت أكثر صعوبة، نظرا لتعقيدات الحياة اليومية بفعل التغيرات الجديدة، والتي تغيرت معها العديد من الأدوار داخل الأسرة.

ولعل هذه الأمور، وغيرها تعتبر من عوامل الخطر التي تفسر الارتفاع المخيف، والمدهش لحالات العنف في المجتمع المغربي لكل فئاته ومؤسساته، ويمكن الرجوع إلى الإحصائيات الرسمية رغم ما يشوبها من اختلافات، وللتأكيد على ذلك ارتفاع وتيرة الانتحار، والقتل، والسرقة، والضرب، والجرح داخل، وخارج الأسرة، وازدياد، وتيرته في الفضاءات العامة وفي الأحياء الشعبية، والراقية من البوادي كما في المدن، ضد المرأة، الطفل، المسنين، والشباب في الملاعب، والمدارس (...)[23]. إذ يبدأ انحراف الشباب منذ الطفولة المبكرة على سلطة الأب، وخاصة عندما تكون شكلية، كما هو الحال في حضور/غياب الأب، وعدم قدرته على ضمان الرعاية النفسية والعاطفية، وقبل هذا وذاك عدم قدرته على تلبية متطلبات الأبناء[24].

من المعلوم أن العلاقة باليومي تنسج حول عمل الأب، حيث مجموع أنساق المحددات هي وظيفة هذا النشاط المنتج، ولنكتفي بالمحددات الزمانية لتوضيح هذه القناعة وتمحيصها. إنه انطلاقا من إيقاعات العمل، وإذن أوقات عمل الأب (والأم بدرجة أقل) تبنين محددات وإيقاعات الأسر. تتخذ أوقات الوجبات، الراحة، الهويات، اللقاءات الأسرية، استقبال الأصدقاء، كأساس تواجد أب الأسرة وإمكانية حضوره على المستوى الأسبوعي. والتمييز بين الأسبوع ونهايته لا يأخذ قيمة إلا في علاقته بحضور الأب[25].

يمكن للغياب، إذا، أن يتخذ بصيغة أو بأخرى شكلا أقل حدة ظاهريا، ولكنه رمزيا أكثر تدميرا بالنسبة للأطفال، نتكلم هنا عن التطور الكمي لهؤلاء الآباء الحاضرين/الغائبين، حاضرين جسديا داخل الأسرة، ولكن رمزيا هم غائبون، وهو ما تصفه وسائل الإعلام والعاملين الاجتماعيين كاستقالة، تبدو لنا ـ على الأصح ـ نتيجة هذا الحضور المستحيل بسبب أزمة عميقة للشرعية، وهو ما يؤكده منزع آخر يبدو معارضا. إنه مظهر السلطوية المتضخمة، حيث السلطة التي تستقر بدون مانح أو مقدم لشرعية مشتركة من طرف مجموع الفاعلين تنحو حتما إلى أن تكون معيشة كإفراط وأن تصير كذلك. ذلك أن غياب الأب التربوي ما هو في الحقيقة سوى غياب الأب الاقتصادي، بمعنى أن الأمر يتعلق بهروب رمزي من القهر الاجتماعي والاقتصادي[26].

وتعد مساءلة المكانة الأبوية منطقيا مصادرة لمكانة الأطفال، إذ يقوم الطفل داخل أسرته بتجربته الأولى للرابط الاجتماعي، فالرابط الأسري هو أول رابط اجتماعي يعيشه الطفل. إنه التأسيس الأول لتعلم الحياة في المجتمع، إذ يتأقلم مع تواجد الآخر، بحيث أن حضور الأب في هذه

---

[21]– إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 428.

[22]– إبراهيم حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص، 432.

[23]– نفس المرجع، ص، 435.

[24]– عياد أبلال، الرابط الاجتماعي والتحولات الجنسانية والدينية في العالم العربي من الإخفاق إلى الثورة، الطبعة الأولى، الدار البيضاء/المغرب، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع، 2023، ص، 229.

[25]. Said Bouamma, *Jeunesse, autorité et conflit,* in ville école intégration n 112, mars : CNDP, 1998, p. 5.

[26]– عياد أبلال، مرجع سبق ذكره، ص، 231 – 232.

المرحلة أساسي جدا، لأن فرض الحدود ووضعها في الوقت نفسه اعتراف واقعي. والشكل الأول للاعتراف الاجتماعي الذي يتلقاه الطفل كما نعلم، لا يدل على أن الحضور الجسدي للأب بمثابة ضرورة، ما دام عدد من النساء اللائي يعيشن وحيدات مع أطفالهن ينجحن في وضع الحدود، وبذلك يحظين بالاعتراف، في حين أن الآباء الحاضرين/الغائبين يبدون لأطفالهم أحجية غير مبنية ولغزا حقيقيا، ومرد ذلك إلى الصعوبات التي تعترض العلاقة المحدودة مع الأب والنقص في الاعتراف الاجتماعي، حيث يبحث الطفل بكل ما أوتي من وسائل لسد هذا العجز، فالوضعية ليست إشكالية في حد ذاتها، وليست جديدة بالأساس، إن كانت ناتجة عن سوء فهم المسؤولية التربوية بين الدولة والمجتمع والأسرة[27]. وهو أيضا ما توضحه العوامل المساهمة في انتشار العنف الأسري ضد الأطفال والشباب، مما يجعلهم يبحثون عن تصريف هذا العنف داخليا في الأسرة وخارجيا في المجتمع، ومن بينها، "نذكر بالخصوص شروط المعيشة الصعبة التي تعيشها الأسرة، مثل الفقر والسكن غير اللائق، وتعدد أفراد الأسرة، والبطالة، وانتشار الأمراض، والانحرافات، وتعاطي المخدرات، والأمية، وغياب الوعي الاجتماعي، والصحي والسياسي، كل هذه العوامل المنتشرة بنسب مختلفة في عدد كبير من الأسرة في المجتمع، تسهم في مضاعفة فرص ممارسة العنف على الأطفال، إما بإجبارهم على التعاطي مع السلوكات الانحرافية، إما بمنعهم وتجنيبهم الوقوع فيها، معتقدين بذلك أنهم يمارسون التربية اللائقة والمرغوبة في المجتمع[28].

يبدو أن الابن غير المعترف به داخل الأسرة وخاصة في عدد من الأحياء الشعبية محروما كذلك من مكانته في المدرسة والمجتمع، بالرغم من أنه يمكن له أن يبني مع أقرانه الذين يعيشون معه الوضعية نفسها من تجارب تمنحه الاعتراف الاجتماعي، وفي حالات أخرى فهو يحاول أن يأخذ ذلك الاعتراف بوسائل غير شرعية، وبالتالي غياب الحق في المواطنة أو سؤال الحق في أن يكون مواطنا، وخاصة على مستويات التنشئة الاجتماعية على رأسها الأسرة.

خامسا: العنف من البيت الأسري إلى الشارع

فعلى مستوى الأسرة، رصدنا العنف الأسري المتولد من رحم التحولات القيمية والاجتماعية، وفي إطار انتقال العنف من مستوياته البسيطة إلى مستوياته المعقدة، وانتقال الأسرة من مؤسسة اجتماعية إلى مؤسسة اقتصادية، وعند فشل الأسرة في تحقيق حاجيات الابن، وتوفر له فقط العجز والعنف، يصبح الحق في التربية، الحق في الحب، الحق في اللعب، الحق في الرياضة، الحق في الصحة النفسية والجسدية، والحق في التنشئة في بيئة سليمة مجرد شعارات، بالتالي تغيب لدى الابن امكانية الإبداع وطمس الطاقات. هو ما ينتج في النهاية تفجير الطاقات إلى سلوكات منحرفة، وهي سلوكات تعيش مع الابن في كل أطواره انطلاقا من الأسرة إلى الشارع والمجتمع. وعليه يصبح العنف الأسري الموجه للأبناء مولدا ومنتجا للعنف الاجتماعي، وينتقل هذا العنف من الأسرة إلى الشارع. ويكون هذا الطفل معرض للعديد من المخاطر خارج الأسرة، وهو في سن مبكرة يكون ملزم عليه البحث عن العمل الذي هو في حد ذاته يشكل عنفا ممارسا عليه، وهي فترة تكون حساسة في تنشئته وتكوين شخصيته، يجد نفسه فيها مضطر للعمل، في حالات أخرى يجد نفسه في الشارع والمقاهي... يقوم بالتسول، أو السرقة...

إن سلوك العنف الذي ينتقل من داخل البيت الأسري إلى الشارع لا يمكن أن يستمر ويؤثر إذا كان الفعل فرديا، لذلك فهو يتحول إلى فعل جماعي، والاحتماء بالجماعة كشكل من أشكال التعبير عن التسلط والقمع الذي يعيشه الابن/الطفل من طرف والديه، وكشكل من أشكال الترويح عن الجسد الاجتماعي المقموع، ووسيلة لتأكيد الحضور في المجتمع. إن الفوضى القادمة من داخل البيوت والخارجة إلى الشارع هي في العمق صراع اجتماعي ثقافي بين مختلف الأفراد المهمشين والنسق الاجتماعي المرفوض. إن الفاعل الاجتماعي (الابن/الطفل) المعطل وظيفيا عن الفعل والأداء يجد في الشارع حقلا رمزيا لتعبير فيه عن الرفض الاجتماعي الذي يعيشه من طرف الأسرة والمجتمع.

---

[27]. Said Bouamma, Ibid, p. 6.

[28]– المصطفى حدية، قضايا في علم النفس الاجتماعي، الطبعة الأولى (الرباط، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، 2004)، ص، 189؛ عياد أبلال، ص، 232 .233.

وتساهم الأسرة كوحدة اجتماعية بشكل مباشر في تكوين شخصية الفرد من خلال التفاعل والعلاقات بين أفرادها، عن طريق تنشئة الفرد وإشباع حاجاته في مختلف مناحي نموه النفسي والاجتماعي. وللوالدين دور مهم من خلال تقديمهم للصورة الجديرة بتقمصها من طرف الأبناء، من خلال أساليب المعاملة الوالدية[29]. باعتبار أن التربية الوالدية كنظام أولي للأبناء للتنشئة الاجتماعية، فإن عملية التنشئة الاجتماعية التي تنطلق من الأسرة إلى الشارع عبر تفاعله مع الآخرين، هي عملية ضرورية في الربط بين الفرد والمجتمع، أي آلية أساسية تمكن الفرد من التكوين الاجتماعي ككائن إنساني، حيث تسهم في سيرورة توافقه وتكيفه من أجل اندماجه مع الآخرين. إنها بعبارة أخرى، عملية نمو الشخصية والهوية في علاقتها بالمحيط الاجتماعي، الذي يعتبر بالنسبة إليها وسيطا اجتماعيا، إن عملية التعلم والتعليم والتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي الهادف إلى اكتساب الفرد هوية وسلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية[30]. مدركين أن سلوك العنف هو بناء يتبلور على مستوى الأسرة، والمدرسة والشارع... وكافة المجالات بما في ذلك التلفزة وكافة وسائل الاتصال.

ويبقى الشارع كفضاء عمومي مجاور مكان للمرور وللعب وللتجمعات الشبابية، فالشباب والأطفال يفضلانه لغياب الرقابة الأسرية والاجتماعية وفضاء حر والشاهد على ذلك هو اعتباره من طرف الأسرة مكان للتسيب إذ نستعمل في كثير من الحالات مصطلح الشارع كدلالة على قلة الاحترام والتربية "حنا ماشي فالزنقة" أو "تحساب ليك راسك في الزنقة". ونجد لدى الأطفال تشابه في تمثلات تملك الشارع. حيث هو المكان المفضل لإبراز المهارات الجسدية والحسية والحركية ويتم تجريب كل ما لا يستطيعون القيام به سواء داخل الأسرة أو في المدرسة، ويحتل الشارع مختلف الفئات العمرية ومختلف الطبقات الاجتماعية لأن يعوض النقص الحاصل في ضيق السكن وعدم استيعابه لكل أفراد الأسرة. يمكن القول بأن الشارع له سمعة غير طيبة "ولد الزنقة" وهنا يمكن طرح السؤال أي منطق يحكم ثقافة الشارع؟ كيف يشتغل الطفل في الشارع؟[31].

سادسا: معطيات ونتائج الدراسة

انطلاقا من الدراسة النظرية والميدانية توقفنا على مجموعة من الأبناء الذين تعرضوا إلى العنف داخل الأسرة من طرف الوالدين، وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الكشف عن عوامل الخطر الأسرية التي قد تصيب الأسرة وتساهم في تفككها من خلال عدم تدبير الحياة اليومية لأبناء، وبالتالي فإن هذا النوع من العنف اتجاه الأبناء يولد لهم اضطرابات نفسية، وفي كثير من الحالات ترافقهم هذه الاضطرابات طوال حياتهم وتشكل لهم عقد نفسية واجتماعية، وعليه فإن الإهمال الأبوي هو في حد ذاته يعتبر عنفا اتجاه الأبناء، فإن غياب اهتمام الوالدين يساهم خلق هالة وفراغ لدى الابن، كما تمت ملاحظته لبعض الحالات من المشاركين في البحث.

هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى ظاهرة العنف الأسري الموجه ضد الأبناء، وأهمها التنشئة الاجتماعية، إذ لا يجد الابن بيئة ملائمة للعيش، وخاصة في مرحلة المراهقة التي تتميز بالحركية والشقاء، إذا ما كان هناك خللا في التربية ممكن أن يصبح فردا غير سوي يؤدي نفسه وأسرته والمجتمع. فإن الأسرة التي تتمثل في الوالدين على وجه الخصوص تساهم بشكل كبير في خروج أو هروب الأبناء إلى الشارع خوفا من الوالدين وتهديداتهم وعدم القدرة على مواجهة العنف الموجه لهم. وعليه فإن عدم شعور الابن بالثقة وتحمل المسؤولية يجعل منه أكثر عدوانية.

يعد العنف اللفظي والعنف المعنوي من أكثر أشكال العنف التي يتعرض لها الأطفال بشكل يومي داخل الأسرة. يمكن القول إن الأبناء الذين تعرضوا إلى التعنيف من طرف الوالدين لهم حرمان عاطفي أكثر من الحرمان المادي، فالطفل يحتاج إلى حنان الأم وعطف الأب.

---

[29]– فاطمة محي الدين، "أساليب التربية الوالدية وعلاقتها بالاضطرابات السلوكية لدى الأطفال"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى، الرباط، مطابع نت، 2019، ص، 12.

[30]– المصطفى حدية، مرجع سبق ذكره، ص، 181.

[31]– إبراهيم حمداوي، "دينامية تربية الطفل بين الأسرة والمدرسة في ظل التغيرات الاجتماعية"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى، الرباط، مطابع نت، 2019، ص، 50. 51.

وتتميز الحالات المدروسة بالتخلف والهدر المدرسي، وكذلك ظهور ظاهرة تشغيل الأطفال الصغار، وظاهرة تسول الأطفال في المقاهي وأماكن الأكل، التي أصبحت أكثر ارتفاعا في السنوات الأخيرة. كل هذا ناتج عن عدم قيام الأسرة بدورها في تنشئة الأبناء، وهناك بعض الأبناء يتم طردهم من البيوت إلى الشارع من أجل العمل والحصول على قوت يومهم. وبالتالي يصبح هؤلاء الأطفال يشعرون بالإقصاء من طرف الأسرة والمدرسة وحتى المجتمع، فهم يشعرون وكأنهم مهمشون.

كما أن للعقاب الجسدي علاقة كبيرة بتطور الاضطرابات النفسية لدى هؤلاء الأطفال في مراحل متقدمة من العمر، كالإصابة بالاكتئاب، القلق، فقدان الأمل، تعاطي للمخدرات أو الكحوليات، ضعف النمو الذهني أو التحصيل الدراسي والخوف بصورة تجعله عاجزا عن الدفاع عن حقه، وبهذا فإن تعرض الطفل للضرب قبل سن السابعة، يحمل في طياته العديد من المشاعر السلبية التي يسقطها الأبناء على آبائهم خاصة في مرحلة المراهقة[32].

يقول الباحث إبراهيم حمداوي؛ إن العنف الممارس داخل الأسرة يمس الجميع صغارا، وكبارا وذكورا، وإناثا. التعود على الضرب والسب داخل الأسرة المغربية، وبالتالي يعبر الأبناء بنفس الأسلوب الذي يعاملون به من إذلال وقيود وخوف، وخضوع[33]. فإن صورة الأم كانت سلبية إلى حد كبير بسبب الوضع السوسيو اقتصادي، وكانت الأم تكتم، وتنحني حفاظا على الأسرة، واستمرار للوضع التاريخي لها فتصبح عرضة لذلك حتى من طرف الأبناء، وقد تتسم بالضعف، والانسحابية، وأحيانا متسلطة المهم أنها ليست الأم الحنون التي تحمي أطفالها، وأسرتها. لم تقوى على القيام بدور القطب العاطفي الآمن، والمؤمن لنمو أبنائها بشكل سليم، ومتوافق. وصورة الأب هي الأخرى سلبية للغاية بسبب إما أن الأب عنيف أو غائب تماما أو معنويا غائب عن ممارسة وظيفته السلطوية. من الملاحظ عموما كما يقول الباحث إبراهيم حمداوي هو غياب دور الأب في الأسرة حيث أن الظروف السوسيو اقتصادية، والاتجاهات نحو الفردانية جعلت من الأب سلطوي صورة شكلية دون الأهمية التي يحتاجها الطفل في النمو السليم العاطفي، والوجداني، والعلائقي، وفقدان الوساطة بين الطفل، والعالم الخارجي. في غياب هذا الدور فإن العلاقة الطفل بأبيه تكون محبطة تجعله عديم الثقة بالنفس، وبالآخرين، وهكذا تتأثر علاقته بالعالم الخارجي، ويشوش عليها، وهذا ما يفسر حالات العنف، والعدوان لأن اليأس يولد العنف، والعنف يولد اليأس[34].

ومن الملاحظ أيضا توثر العلاقة بين الوالدين أو غياب أحداهما يعكس علاقة الحب التي يجب أن تنعكس على الأبناء، وهناك معاناة للأبناء وشكاوى من غياب الحب والاحترام ومن يتفهم، وإحساسهم في الوسط الأسري بالدونية، مما يجعلهم يبحثون عن حلول أخرى كاستعمال العنف لتعبير عن بالإحباط.

كما يقول الباحث إبراهيم حمداوي، في دراسته لأطفال موقوفين بخيرية عبد السلام بناني بالدار البيضاء؛ كلهم تعرضوا للعنف من طرف الآباء والإخوة، ولهذا كان العنف لهم ميزة في سلوكاتهم تقمص المعتدي Identification à l'agresseur، كميكانزيم دفاعي غالبا ما يستعمل في ضحايا العنف كتعويض عن الإحساس بالإحباط، والألم. وعدم الإحساس بالجو الأسري الدافئ، والمستقر، وغياب علاقات تواصلية قارة، ومستقرة مع بقية أفراد الأسرة، وغياب، وصورة الوالدين المادية والمعنوية، وهو ما يغيب لدى الأطفال انتظارات الوالدين لغياب صورة معرفية واضحة، وعدم قدرة الأبناء على معرفة الصواب من الخطأ.

فإن كثرة عدد أفراد الأسرة يساهم أيضا في إنتاج سلوك العنف، حيث يكون الإهمال والقسوة والرفض العاطفي، والتمييز بين الأبناء من طرف الوالدين، وأيضا بنية السكن، فالأسرة التي تعيش في سكن هش يميل أفرادها لتبني العنف كوسيلة مشروعة لحل مشاكلهم.

---

[32]– محمد نشيط، "أثر العقاب الجسدي على نمو الطفل"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى، الرباط، مطابع نت، 2019، ص، 155.

[33]– إبراهيم حمداوي، الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟، ص، 436.

[34]– إبراهيم حمداوي، مرجع سبق ذكره، ص، 437.

خاتمة:

يشكل العنف الأسري الممارس على الأبناء من الطرف الوالدين ظاهرة تهدد الأسرة التي من المفترض أن يسود فيها الأمن والاستقرار لأفرادها، وتوفر لهم الراحة والحياة الكريمة، أصبحت هذه الأسرة تعيش كل أشكال العنف الاجتماعي والاقتصادي والنفسي والجسدي والجنسي، وهذا راجع إلى التحولات والتغيرات التي عرفتها الأسرة المغربية في العقود الأخيرة، حيث تعرضت لتناقض عنيف في ظل العولمة والحداثة المتقدمة والغزو الثقافي، والتحولات الاقتصادية العالمية التي لم تسلم منها المجتمعات الجديدة. وجدت نفسها أمام تغيرات سريعة عالمية ومحلية تفتقد لمنظومة أخلاقية وقيمية... وهذه التحولات كان لها انعكاسات على الأسرة في المجتمع المغربي مما أنتج أشكالا من سلوك العنف اتجاه الأبناء.

فإن العنف الممارس داخل الأسرة يمس الجميع صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا. فإن التعود على الضرب والسب داخل الأسرة المغربية يجعل من الأبناء يعبرون بنفس الأسلوب الذي يعاملون به من إذلال وقيود وخوف وخضوع، ويكون لها انعكاس وآثار سلبية في نفسية الأبناء والأطفال والشباب. فإن دور الوالدين في الأسرة مهم في الحفاظ على استقرارها تباتها، وبالتالي فإن غياب هذا الدور يجعل الأسرة محبطة، وتبقى حبيسة البؤس واليأس. من الملاحظ أن توتر العلاقات بين الأزواج والأبناء يعكس غياب علاقة الود والحب بينهما، ما يفسر ارتفاع أرقام العنف.

وشكل الأب في الأسرة قديما أو العائلة الممتدة رأس الأسرة، يأتمر الجميع بأمره ويمارس صلاحيته التي تكفلها له الأعراف والتقاليد والعادات الثقافية، فالجد أو الأب هو من يتولى مهام مسؤولية الأسرة، وهذا ما يمنحه سلطة تتطلب الخضوع والطاعة على من تمارس عليه، حتى الأم نفسها. وبفعل ما وقع من تغير اجتماعي تبدلت معه الوظائف والأدوار الاجتماعية وتخلخلت، وانتقلت الأسرة المعاصرة بما فيها المغربية إلى أسرة نووية بدأت بوادر أفول سلطة الأب المطلقة (السلطة الأبوية) ليتم بعدها الحديث عن السلطة الوالدية، وهذا لا يعني غياب ذلك مطلقا، فما زال الأب يحاول لعب دور الناهي والآمر في البيت[35].

كما تأثرت الأسرة بالتحولات المجتمعية، وفقدت الأسرة العديد من أدوارها ووظائفها أو على الأقل شهدت تراجعا نتيجة بفعل هذه التغيرات لصالح مؤسسات اجتماعية مثل روض الأطفال، دار الحضانة، والنوادي الرياضية والثقافية، والمؤسسات التعليمية وغيرها، بالتالي تقلص دور الأسرة لصالح مؤسسات أخرى في تنشئة الأبناء والأطفال، مما يمكن اعتباره أدى إلى غياب التماسك الاجتماعي والاستقرار على مستوى الأسرة.

وعليه؛ فإن عدم الإحساس بالجو الأسري الدافئ والمستقر، وغياب علاقات تواصلية، ومستقرة مع بقية أفراد الأسرة، وغياب ثقافة الحوار بين الوالدين والأبناء، ما يجعل من العنف داخل الأسرة ممكنا، وبالتالي إحباط الأسرة. وأخيرا فإن الأسرة هي أفضل مكان للعيش والتعايش، فكل انحراف فيها يؤدي إلى انحراف أفرادها، وبالتالي فإن التربية الوالدية تبقى مسألة مهمة في المحيط الأسري. ويمكن اعتبار أن الأسرة هي المكان المناسب والملائم للعيش بالنسبة للأبناء، حيث يشعرون فيها بالحب والحنان والدفء، فكل سلوك غير سوي فيها يؤدي لا محال إلى انحراف الأبناء، ومن تم إحباط الأسرة وتفككها.

البيبليوغرافيا:

- الراجي، أحمد، "دينامية المجالات الحضرية وإشكالية العنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية: دراسة حالة مدينة الدار البيضاء"، مجلة رهانات، ملف العدد المدينة والعنف، العدد 42 (2017).
- العنف والصحة، تقرير المنظمة العالمية للصحة 2002.
- بوعبيد، رشيد، "دور الأساليب الوالدية في تنمية المهارات الاجتماعية لدرى الفرد"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى (الرباط، مطابع نت، 2019).

[35]– يونس بوعبيد، "التمثلات الاجتماعية: من السلطة الأبوية إلى السلطة الوالدية"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى، مطابع الرباط نت، 2019، ص، 103.

- بوعبيد، يونس، "التمثلات الاجتماعية: من السلطة الأبوية إلى السلطة الوالدية"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى (الرباط، مطابع نت، 2019).
- حمداوي، إبراهيم، "الأسرة، الطفل والعنف هل هي علاقة حتمية أو علاقة افتراضية؟"، في. حسن قرنفل وزينب نجاري ومحمد سريوتي، المشكلات الحضرية الجديدة مقاربات، وضعيات وتقاطعات، أعمال الندوة الدولية المنظمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة 27 و28 نونبر 2019. الطبعة الأولى. (الرباط، منشورات، مختبر المجتمع المغربي: الديناميات والقيم، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة ـ المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2021).
- حمداوي، إبراهيم، مدخل إلى سوسيولوجيا الجريمة: مفاهيم ونظريات، تقديم سعيد برغل (الرباط، مطابع نت، 2017).
- حمداوي، إبراهيم، "دينامية تربية الطفل بين الأسرة والمدرسة في ظل التغيرات الاجتماعية"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى (الرباط، مطابع نت، 2019).
- حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور، الطبعة التاسعة (الدار البيضاء ـ المغرب، المركز الثقافي والعربي، 2005).
- حدية، المصطفى، قضايا في علم النفس الاجتماعي، الطبعة الأولى (الرباط، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، 2004).
- سيد، رمضان سيد، إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان (الإسكندرية ـ مصر، دار المعرفة الجامعية، 1999).
- شحاتة، عبد المنعم، أنا والأم، سيكولوجية العلاقات المتبادلة، ط 2 (القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، 2002).
- عبد المعطي، حسن مصطفى، الأسرة ومشكلة الانتماء (القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع، 2008).
- فرج عبد القادر، طه، وعطية قنديل، شاكر، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط 2 (دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2003).
- كداي، عبد اللطيف، "التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي: محاولة للرصد والفهم"، التدريس مجلة علوم التربية، السلسلة الجديدة، العدد 7 (يونيو 2015).
- محي الدين، فاطمة، "أساليب التربية الوالدية وعلاقتها بالاضطرابات السلوكية لدى الأطفال"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى (الرباط، مطابع نت، 2019).
- نشيط، محمد، "أثر العقاب الجسدي على نمو الطفل"، في. رشيد بوعبيد، التربية الوالدية والأسرة: مقاربات وطروحات في سياق التحولات المجتمعية، الطبعة الأولى (الرباط، مطابع نت، 2019).
- نحو فهم محددات العنف بالمدن، مجلة رهانات، ملف العدد المدينة والعنف، العدد 42 (2017).
- Bouamma, Said. 1998. *Jeunesse, autorité et conflit*, in ville école intégration n 112, mars, CNDP.
- Lahraoui, Addi. 1999. *Les mutations de la société allégorisme famille et lieu social dans l'Algérie contenu porine* (Paris : la découverte).
- La source: United Nations, Desa/Population Division, World Population Prospects, 2017, sur : https://esa.un.org/wpp/Graphs/Probabilitic/pop/tot.
- Azemmour et sa banlieue. 1932. *Direction des affaires indignées*, Section sociologique, Honoré Champion éditeur.
- Royaume Du Maroc. Année 2017. Ministère De l'intérieur, Province a El Jadida, Monographie Communal.